أثر قصيدة بيرسي شيلي (أغنية إلى الريح الغربية) في قصيدة عبدالرحمن شكري (إلى الريح) دراسة مقارنة

د. خالد بن عبدالعزيز الدخيل[1]

المستخلص: يتناول البحث أنموذجا مشهورا من الشعر العربي في العصر الحديث؛ لإجراء مقارنة بينه وبين أنموذج من الشعر الإنجليزي، ويهدف البحث إلىٰ تلمس أحد الشواهد التي تثبت تأثير الأدب الإنجليزي في الأدب العربي في بداية العصر الحديث. يعتمد البحث علىٰ قصيدتين من أهم القصائد في الأدب الرومانسي الإنجليزي والعربي؛ أولىٰ هاتين القصيدتين للشاعر بيرسي شيلي (Percy Bysshe Shelley) أحد أهم أعلام الاتجاه الرومانسي في إنجلترا من خلال قصيدته الشهيرة (Ode To The West Wind) «أغنية إلىٰ الريح الغربية»، والقصيدة الثانية هي قصيدة الشاعر المصري الشهير عبدالرحمن شكري «إلىٰ الريح».

يطبق البحث منهج المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن؛ ولهذا يحاول أن يدرس الصلات التاريخية بين (بيرسي شيلي) وعبدالرحمن شكري؛ وذلك لإثبات إمكان اطلاع المتأخر علىٰ إبداع المتقدم. ثم يسعىٰ البحث إلىٰ قراءة القصيدتين قراءة نقدية فاحصة للوقوف علىٰ مواطن التأثر والتأثير؛ حيث يتناول المعاني والأفكار التي حصل فيها التأثر والتأثير، كما يدرس البحث الصورة بدراسة عناصر منها ظهرت في القصيدتين؛ مثل التشخيص، ومصادر الصورة، والعاطفة، مع بيان كيف عبرت تلك العناصر عن التأثر والتأثير.

خلص البحث إلىٰ إثبات تأثر قصيدة عبدالرحمن شكري بقصيدة (بيرسي شيلي) عن طريق عدد من الأدلة التي أفصحت عنها وريقات البحث، ولكن مع وجود التأثر فإن البحث يثبت احتفاظ الشاعر العربي بأصالته؛ إذ لا يعني التأثر التقليد. وأوصىٰ البحث بتكثيف الدراسات التطبيقية في مواطن اتصال الآداب العالمية المختلفة بالأدب العربي في سبيل إيجاد المؤثرات التي أثرت في تشكيل الأدب العربي بداية العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: أدب مقارن، عبدالرحمن شكري، بيرسي شيلي، إلىٰ الريح، شعر عربي، شعر إنجليزي.

***

(١) أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البريد الإلكتروني: Khal_d_l@hotmail.com

The Influence of Shelley's Poem "Ode to the West Wind' on Shukri's Poem "To the Wind"

Dr. Khalid Abdulaziz Aldakheel

Abstract: This research studys a well-known poem in modern era for comparing it with a similar example in English poetry. This research aims to find out the evidences that prove the effects of English literature on the Arabic literature especially at the beginning of modern era. It depends on two of the most important poems in English and Arabic literature, the first one is Shelley's poem " Ode to The West Wind", the second is Abdulrahman Shukri's poem "To the Wend".

This research applies the methodology of French method in comparative literature, so it studies the historical links between Shelley and Shukri to prove that he read Shelley's poetry. Then the research studies both poems to find the points of effects and influences, meaning, thoughts and image.

The conclusion of the research proves that Shukri's poem was affected by Shelley's poem and there are different examples appeared in the article which show this effect. Although it shows some effects, it also shows that shukri kept his personality. The research recommends more studies in this field to see the links between literatures of different nations.

Keywords: Comparative Literature, Abdulrahman Shukri, Shelley, Arabic poetry, English poetry.

***

المقدمة

أهمية البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ محمد ﷺ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛ فيعد هذا الموضوع أحد الموضوعات المهمة التي يمكن أن تكشف لنا مظاهر التأثر والتأثير في بين الأدب الإنجليزي والأدب العربي، وخصوصا في بدايات الحركة الرومانسية التي تمثلها مدرسة الديوان، ومن أهم أعلامها عبدالرحمن شكري.

يتناول البحث أحد النماذج الشعرية العربية بهدف إجراء مقارنة بينه وبين أنموذج شعري إنجليزي للبحث في مواطن تأثير الأدب الإنجليزي في الأدب العربي في بداية العصر الحديث، ويعتمد البحث علىٰ قصيدتين من أهم القصائد في الأدب الرومانسي الإنجليزي والعربي؛ أول هاتين القصيدتين للشاعر بيرسي شيلي (Percy Shelly) أحد أهم أعلام الاتجاه الرومانسي في إنجلترا من خلال قصيدته الشهيرة[1] «Ode To The West Wind» «أغنية إلىٰ الريح الغربية»، والقصيدة الثانية هي قصيدة الشاعر المصري الشهير عبدالرحمن شكري «إلىٰ الريح»[2] أحد مؤسسي جماعة الديوان الأدبية في مصر.

هدف البحث:

يتجه البحث – وفق المنهج العلمي المطبق – إلىٰ دراسة الصلات التاريخية بين الشاعرين؛ وذلك لإثبات اطلاع المتأخر علىٰ إبداع المتقدم، ومن ثم قراءة القصيدتين قراءة نقدية فاحصة للوقوف علىٰ مواطن التأثر والتأثير؛ حيث سيقف البحث علىٰ المعاني والأفكار

(١) انظر: Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, pp.48-50.

(٢) انظر: ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠-٤٤١).

التي ظهر فيها التأثر والتأثير، ومن ثم دراسة الصورة من خلال دراسة التشخيص في القصيدتين، ومصادر الصورة، والعاطفة، وبيان كيف أبانت تلك العناصر عن التأثر والتأثير بين القصيدتين.

مشكلة البحث:

يحاول البحث أن يطرح إشكاليتين متداخلتين؛ الإشكالية الأولىٰ هي ما يمكن أن يُزعَمَ أنَّ الأدباء العرب – وخصوصا من اطلعوا علىٰ آداب الأمم الأخرىٰ – ينقلون أفكارهم ورؤاهم من إبداع غيرهم، من غير بروز لشخصياتهم التي ينبغي أن يتمتع بها الأديب المستقل، أما الإشكالية الأخرىٰ فهي علىٰ النقيض من الأولىٰ؛ بزعمِ أن الأديب الحق لا يتأثر بما يقرأ من غيره. وقد جاء هذا البحث ليزيل هاتين الإشكاليتين من خلال طرح أنموذج لأديب عربي تأثر بآخر إنجليزي تأثرا إيجابيا، ولكي يؤكد أن المبدع العربي يفيد مما يقرأ من آداب الأمم الأخرىٰ، لكنّه يضيف إليها، ولا يتوقف عندها.

منهج البحث:

وفي سبيل تحقيق أهدافه فقد اعتمد البحث علىٰ منهج المدرسة الفرنسية في تطبيق المقارنة وهي المدرسة التي أسست الأدب المقارن بصفته موضوعا مستقلا ووضعت له النظريات المنهجية؛ حيث جاءت في الوقت الذي ازدهر فيه الأدب الفرنسي، وكان له تأثير كبير علىٰ آداب الأمم الأخرىٰ[1]، ومن هنا يفهم مفهوم المدرسة الفرنسية للمقارنة؛ حيث إنه يجعل الدراسة التاريخية أساسا مهما للمقارنة؛ ويُعنىٰ بمراقبة «تبادل المواضيع والأفكار والكتب والمشاعر بين أدبين أو أكثر»[2]، ومن أهم مجالاته دراسة تأثير أديب ما في أديب آخر من ثقافة مختلفة[3]، وهو ما

(١) انظر: Shunqing Cao, The Variation Theory of Comparative Literature. p:9.

(٢) مدارس الأدب المقارن، سعيد علوش، (ص٦٤).

(٣) انظر: الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، (ص٩٩).

يمكن أن يلحظ بشكل ظاهر في أثر الشاعر (بيرسي شيلي) من خلال قصيدته «أغنية إلىٰ الريح الغربية» في قصيدة الشاعر العربي المصري عبدالرحمن شكري «إلىٰ الريح».

قد يتداخل مصطلح الأدب المقارن وفق مفهوم المدرسة الفرنسية من جهة، ومصطلح التناص من جهة أخرىٰ؛ وذلك لوجود خلط واسع بينهما، ولهذا تحسن الإشارة إلىٰ الاختلاف بين مفهوم التناص والأدب المقارن «علىٰ صعيد المعالجة النقدية؛ لما يمتلك التناص من آليات نقدية حديثة وأنظمة إشارية ومستويات مختلفة تجعله بعيدا في الفعل الإجرائي»[1] عن الأدب المقارن، ويركز الأدب المقارن علىٰ إثبات التأثر والتأثير بين شاعرين أو أدبين أو عملين إبداعيين من خلال البحث التاريخي والتحليل الفني.

الدراسات السابقة:

لم أجد - في حدود اطلاعي - دراسة علمية درست التأثر والتأثير بين قصيدتي (بيرسي شيلي) وعبدالرحمن شكري، لكن هناك بعض الدراسات التي درست أثر (بيرسي شيلي) في الإبداع العربي، أو أثر الرومانسية في الأدب العربي، وكلها لا تدخل في الموضوع الدقيق للبحث؛ الذي تعتمد نتائجه علىٰ دراسة قصيدة محددة لبيان أثرها في قصيدة أخرىٰ محددة.

خطة البحث:

وبناء علىٰ المنهج المعتمد في تطبيق المقارنة فقد انقسم البحث إلىٰ مبحثين:

- المبحث الأول: الصلات التاريخية بين بيرسي شيلي وعبدالرحمن شكري.
- المبحث الثاني: مظاهر تأثر قصيدة «إلىٰ الريح» بقصيدة «أغنية إلىٰ الريح الغربية».

* * *

(١) التناص في شعر الرواد: دراسة، أحمد ناهم، (ص٢١).

المبحث الأول

الصلات التاريخية بين بيرسي شيلي وعبدالرحمن شكري

من المهم – في بداية هذه الدراسة – التعرف علىٰ الشاعرين؛ الأمر الذي يساعد في إضاءة جوانب مهمة من تاريخهما الأدبي وحياتهما، كما أن التعريف بالشاعرين يوضح الأثر التاريخي في الدراسة، ويكشف عن أحد عوامل اتصال عبدالرحمن شكري بالشاعر الإنجليزي بيرسي شيلي؛ لأن الصلات التاريخية تعبر بوضوح عن المدلول التاريخي للأدب المقارن، وتؤكد حصول التأثير أو التأثر بين الشاعرين موضوع الدراسة[1].

يعد (بيرسي شيلي) أحد أهم شعراء الاتجاه الرومانسي في إنجلترا، وقد ولد في مدينة (ساسيكس) في إنجلترا سنة ١٧٩٢م[2]، وقد كان لتنشئته من قبل والده أكبر الأثر في حياته الأدبية التي تنبعث غالبا من تأثير التعليم والنشأة الثقافية، فقد نشأ في بيت غني؛ مما ساعد والديه علىٰ الاعتناء بتطوير قدراته الفكرية، ولهذا أرسلاه إلىٰ التعلم في إحدىٰ أهم مدارس إنجلترا وهو في سن السادسة، واستحق – بعد تخرجه – الدراسة في جامعة أكسفورد الشهيرة، وهي الجامعة التي احتضنت والده[3].

لقد خلدت كثير من قصائد (بيرسي شيلي)، وأصبحت دواوينه تتداول في إنجلترا وفي غيرها، وكان لبعضها تأثير كبير في الشعر الإنجليزي بشكل خاص، والشعر الأوربي بشكل عام،

---

(١) انظر: التناص في شعر الرواد: دراسة، أحمد ناهم، (ص٩).

(٢) انظر: Margaret Drabble and Jenny Stringer, The Concise Oxford Companion to English Literature. p.648.

(٣) انظر: Marie Guertin, Shelley's Poetic Inspiration and Its Two Sources: The Ideals of Justice and Beauty. P.6.

بل إن بعض قصائده قد انتشرت في أجزاء كبيرة من العالم؛ لتؤثر في الآداب والثقافات المختلفة، وقد اشتهرت من قصائده تلك التي ألفها بعد سنة ١٨١٩م، ومنها في الجانب السياسي (The Mask of Anarchy)[١]، وكذلك اشتهرت قصيدة (Ode To The West Wind)[٢] التي اختيرت في هذا البحث؛ لدراسة أثرها في الأدب العربي من خلال تأثيرها في قصيدة الشاعر عبدالرحمن شكري «إلىٰ الريح».

وكانت نهاية حياة (بيرسي شيلي) غرقا في شهر أغسطس من عام ١٨٢٢م؛ حيث غرق وهو في طريق عودته علىٰ مركبه الشراعي الصغير من (ليفرنو) في إيطاليا مع إدوارد ويليام وفتىٰ المركب الإنجليزي[٣].

أما الشاعر الآخر فهو عبدالرحمن بن محمد شكري عياد، أحد شعراء مصر المشهورين، وينحدر من أصول مغربية، ولد في مدينة بورسعيد في مصر سنة ١٨٨٦م[٤]، أي بعد وفاة (بيرسي شيلي) بأكثر من ستين سنة، وعاش طفولة بائسة نتيجة بعده عن والده الذي سجن نتيجة نضاله ضد الاستعمار الإنجليزي، لكنه تجاوز آثار ذلك بأن أنهىٰ دراسته في المرحلة الابتدائية سنة ١٩٠٠م بنجاح[٥]، ورغم الظروف القاسية التي واجهها عبدالرحمن شكري في مجتمعه فإنه واصل تعليمه ولم يلتفت للمثبطات التي تثنيه عن سبيل العلم، واختار تخصص الأدب بعد أن

---

(١) هذا عنوان إحدىٰ قصائد (بيرسي شيلي) الطويلة، وهي قصيدة تتناول موضوعا سياسيًا، وقد نشرت سنة ١٨٣٢م، وترجمة عنوانها «قناع الفوضىٰ».

(٢) انظر: Margaret Drabble and Jenny Stringer, The Concise Oxford Companion to English Literature. pp.648-650.

(٣) انظر: السابق، (ص٦٥٠).

(٤) انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، (ص٣٣٥).

(٥) انظر: التشاؤم عند عبدالرحمن شكري: دراسة تحليلية نقدية، ثريا الكعكي، (ص٥٤-٥٨).

التحق بمدرسة المعلمين، وقد أنهىٰ دراسته فيها بنجاح سنة ١٩٠٨م[١].

ولم يتوقف عبدالرحمن شكري عند هذا الحد، بل واصل تعليمه عن طريق الابتعاث؛ فأُرسل إلىٰ إنجلترا سنة ١٩٠٨م، وهناك تعلم اللغة الإنجليزية، ودرس «تاريخ الأدب الإنجليزي والاقتصاد، والاجتماع، والفلسفة، والسياسة، إلىٰ جانب اللغة الإنجليزية وآدابها»[٢]، وقد استمر في دراسته في إنجلترا ثلاث سنوات، وفي سنة ١٩١٢م استحق درجة البكالوريوس من جامعة شفيلد في إنجلترا.

عاد عبدالرحمن شكري إلىٰ مصر بعد أن أنجز درجة البكالوريوس من جامعة شفيلد في إنجلترا، وعمل مدرسا في عدد من المدارس، ثم مفتشًا فناظرًا، وأنهىٰ خدمته في السلك التعليمي سنة ١٩٣٨م، وتوفي في الإسكندرية سنة ١٩٥٨م[٣].

ومن خلال العرض التاريخي السابق وقبل الشروع في مقارنة القصيدتين موضوع الدراسة ظهرت بعض العلامات التي تشير إلىٰ إمكان حصول التأثر والتأثير بين الشاعرين، ولهذا فلا بد من الإشارة - ولو بشكل سريع - إلىٰ أهم العوامل التي تدفع إلىٰ تأكيد أثر الشاعر (بيرسي شيلي) في عبدالرحمن شكري؛ لأنّ الصلات التاريخية تحظىٰ بأهمية كبرىٰ لتوثيق عملية المقارنة، إذ تؤكد المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن علىٰ محورية الصلات التاريخية عند دراسة التأثر والتأثير بين أديبين، وبناء عليه فلا بد من «بيان العوامل التي أدت إلىٰ تكوين الصلات بين الكاتبين»[٤]، ويمكن إجمال عوامل اتصال الشاعر عبدالرحمن شكري بالشاعر

(١) انظر: التشاؤم عند عبدالرحمن شكري: دراسة تحليلية نقدية، ثريا الكعكي، (ص٦٠).

(٢) السابق، (ص٦٠).

(٣) انظر: المذاهب الأدبية: دراسة وتحليل، عبدالله حمد، (ص١٢٣).

(٤) انظر: الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه، الطاهر مكي، (ص٢٦٧).

الإنجليزي (بيرسي شيلي) في عاملين رئيسين:

١- المذهب الأدبي:

قامت الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر في أوربا بداية في إنجلترا ثم دول أوربا، وتعد الرومانسية «فاتحة العصور الحديثة في الفكر والأدب، وأهميتها في تاريخ الفكر الحديث بالغة»(١)، بل إنها خطت للتعريف بالأدب خطوة متقدمة، وبناء علىٰ ذلك فقد روجع مفهوم الشعر في هذه المرحلة؛ حيث أصبح مع ظهور عمل بيرسي شيلي (٢)(A Defence of poetery) يعني ما هو أكثر من النظم كما هو شائع من قبل(٣).

وقد امتد تأثير المذهب الرومانسي في الأدب الأوربي إلىٰ الأدب العربي عن طريق عدد من الأشكال، ومن أهمها اتصال الأدباء العرب بنتاجات نظرائهم الرومانسيين في الأدب الغربي، ومثلت جماعة الديوان أحد أهم المنعطفات التجديدية في الشعر العربي الحديث، إذ إنها تقوم علىٰ الهجوم علىٰ الاتجاه الكلاسيكي في الشعر العربي، و«تدعو إلىٰ التغيير والتجديد في إطار التجذر في العصر، ومواكبة المستجدات المنجزة في الشعر العربي، وكان جُلُّ جماعة الديوان يجيدون اللغات الأجنبية، وهم الذين اطلعوا علىٰ مفاخر الآداب الأجنبية، وبالأخص الأدب الإنجليزي، وبصورة أدق الشعراء الإنجليز»(٤).

وكان عبدالرحمن شكري أحد شعراء المؤسسين لجماعة الديوان؛ حيث عمل مع العقاد

---

(١) الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، (ص٣١).

(٢) هذا عنوان مقال لبيرسي شيلي، نشره سنة ١٨٢١م، وترجمته (دفاع عن الشعر).
انظر: Percy Shelley, A Defence of poetry, an Essay.

(٣) انظر: Terry Eagleton, Introduction to Literary Theory. p.16.

(٤) اتجاهات الشعر العربي الحديث في النصف الأول من القرن العشرين: الاتباعية – جماعة الديوان- الرومانسية، منصور قيسومة، (ص٧٥).

والمازني بعد عودته من إنجلترا[1]، وكان موقفه - مع الشاعرين الآخرين - من الشعر المنشور آنذاك متشابها إلىٰ حد كبير مع موقف شعراء الرومانسية في إنجلترا من الشعر الكلاسيكي الذين طالبوا - كما تبيَّن سابقًا - بإعادة النظر في مفهوم الشعر، وذلك الأمر يعكس أثر المذهب الأدبي في اختيار موقفه من الإبداع الشعري، ومن ثَمّ انخراطه في التجديد الشعري، والثورة علىٰ المذهب الكلاسيكي كما هو الشأن عند أتباع المذهب الرومانسي في إنجلترا، ومنهم الشاعر الإنجليزي (بيرسي شيلي).

ولهذا فإن من أهم المبادئ التي أعلنت عنها جماعة الديوان - وتعكس تأثرا واضحا بمبادئ الرومانسية التي ظهرت في أوربا - «الدعوة إلىٰ شعر وجداني يصور خطرات النفس الإنسانية، ومتحرر من الصور التقليدية، كما يعتمد علىٰ الثقافة العالمية الواسعة لإثراء التجربة الشعرية»[2]، وهذا يعني أن المدرسة الرومانسية في أوربا قد أثرت في الرأي النقدي لجماعة الديوان الذين لا يرون ضيرا من الاطلاع علىٰ ما لدىٰ العالم والاستفادة منه، وطبعي - نتيجة لذلك - أن يؤثر هذا الرأي النقدي في النتاج الأدبي للجماعة، وهو ما قد يتبين في أنموذج الدراسة التطبيقية الذي سيعتمد في هذا البحث.

٢- قراءة الأدب الإنجليزي:

اتضح مما سبق أن الشاعر عبدالرحمن شكري سافر إلىٰ إنجلترا للدراسة في جامعة شفيلد الإنجليزية، وهناك تعلم اللغة الإنجليزية وقرأ تاريخ الأدب الإنجليزي قراءة متعلم، ولا شك أن ذلك يثبت -منطقيا- قراءة عبدالرحمن شكري لنتاج (بيرسي شيلي) النقدي والإبداعي؛ كونه أحد أهم شعراء الرومانسية في الأدب الإنجليزي في العصر الحديث، وأحد الأعلام الفاعلة في

(١) الأدب العربي الحديث، بول ستاركي، ترجمة: هند السديري، (ص١١٤).

(٢) المصطلح النقدي عند جماعة الديوان، محمد معوش، (ص١٦).

تاريخ الأدب الإنجليزي.

وعند التأمل في نتاجات عبدالرحمن شكري وغيره من أبناء جيله نجد أنه يحيل كثيرا إلىٰ مختارات الخزانة الذهبية لفرانسيس بالجراف المنشور سنة ١٨٦١م؛ مما يشير إلىٰ أثر هذه المختارات الشعرية في نفس الشاعر(١)، وعند إنعام النظر في ثقافة جماعة الديوان نجد أن الثقافة الإنجليزية بالدرجة الأولىٰ، ومن خلال اللغة الإنجليزية اتصلوا بالثقافات العالمية الأخرىٰ(٢)، وبالتالي تأثير الأدب الإنجليزي في أداء الأديب عبدالرحمن شكري الإبداعي والنقدي. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نثبت تاريخيا أن عبدالرحمن شكري قرأ كثيرا من أعمال بيرسي شيلي؛ لكونه تعلم اللغة الإنجليزية في بريطانيا وأصبح قادرا علىٰ قراءة الأدب الإنجليزي بلغته، ولأن عبدالرحمن شكري درس الشاعر بيرسي شيلي وأعماله الإبداعية والنقدية دراسة متخصص في الجامعة التي ابتعث إلىٰ الدراسة فيها.

وإذا تبين – تاريخيًا – إمكان وصول إبداع شيلي إلىٰ الشاعر عبدالرحمن شكري فإنه من المناسب الدراسة التطبيقية لإبداع الشاعرين، وهو الأمر الذي يدعو إلىٰ أن ننعم النظر في قراءة الأثر الذي تركته أعمال شيلي في إبداع الشاعر عبدالرحمن شكري، ويمكن أن تكون قصيدة «إلىٰ الريح» لعبدالرحمن شكري، وقصيدة «أغنية إلىٰ الريح الغربية» لـ(بيرسي شيلي) مادة مناسبة لإثبات التأثر والتأثير.

* * *

(١) انظر: Abdel-Hai, M, Shelley and The Arabs, An Assay in Comparative Literature. p.74.

(٢) انظر: المصطلح النقدي عند جماعة الديوان، معوش، محمد، (ص١٧).

المبحث الثاني

مظاهر تأثر قصيدة «إلى الريح» بقصيدة «أغنية إلى الريح الغربية»

عند الحديث عن التأثير فإنه لا بد من الإشارة إلىٰ مسألة مهمة؛ وهي أنّ هناك ألوانًا متعددة من التأثيرات تختلف فيما بينها، حيث شدد دارسو الأدب المقارن - في هذا السياق - علىٰ أن تلك الألوان المختلفة قد تجيء مفردة وقد تجيء مجتمعة، وقد يجيء بعضها، ويتخلف البعض الآخر(١)، ومن هنا فمن المستحسن أن نقف عند أهم النقاط التي ظهر فيها تأثير قصيدة (بيرسي شيلي) في قصيدة عبدالرحمن شكري من خلال الأشكال الكبرىٰ في التأثر والتأثير.

١ - عنوان القصيدتين:

اتضح في العرض التاريخي المشار إليه في أول هذا البحث(٢) أن الشاعر عبدالرحمن شكري قرأ للشاعر الإنجليزي (بيرسي شيلي)، وبقي الآن الإجابة علىٰ السؤال المهم: هل تأثرت قصيدة «إلىٰ الريح» لعبدالرحمن شكري بقصيدة (بيرسي شيلي) «أغنية إلىٰ الريح الغربية»؟

إن أول ما يطالع المتلقي هو عنوان القصيدتين اللذين اختارهما الشاعران مدخلا إلىٰ قصيدتيهما، ولا يخفىٰ ما للعنوان من مزية في القصيدة بشكل عام حتىٰ عدَّه بعض النقاد أنه أهم عتبات النص علىٰ الإطلاق؛ لأنه البوابة التي يلج من خلالها القارئ إلىٰ النص الأدبي، «والمفتاح الذي تفتح به مغاليقه، بما يتسم به من تكثيف لرؤيته، وارتباط وثيق بأعماقه»(٣)، ويقوم العنوان بعدد من الوظائف - كما أشار إلىٰ ذلك عدد من النقاد - كالوظيفة الإشهارية والإحالية

(١) انظر: الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه، الطاهر مكي، (ص٢٧٢).

(٢) انظر: المبحث الأول من هذا البحث.

(٣) إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد، سامي العجلان، (ص٥٤).

والتداولية، ومن خلالها تظهر أهميته في كمال العملية الإبداعية، إذ تساعد بنيته الموجزة في توقع مضمون القصيدة[1].

وعند النظر في عنوان القصيدتين نجد أن (بيرسي شيلي) اختار (Ode to the West Wind) «أغنية إلىٰ الريح الغربية» ليكون مدخلا لقصيدته، وأما عبدالرحمن شكري فقد اختار لقصيدته عنوان «إلىٰ الريح»، وهنا نلحظ تأثر عنوان قصيدة شكري بعنوان قصيدة (بيرسي شيلي)؛ حيث إن صلب فكرة العنوان هو الرسالة الموجهة إلىٰ الريح، وتلك مفهومة من العنوانين، فالغاية من العنوان فيهما إيصال فكرة أن القصيدة رسالة موجهة إلىٰ الريح كما بينت ذلك أفكار القصيدتين؛ حيث إن القصيدتين تشتركان في خطاب الريح كما ستأتي الإشارة إلىٰ ذلك في هذا البحث.

وأمر آخر يخص العنوان تشترك فيه القصيدتان، وهو ما يتعلق في بناء جملة العنوان من حيث كونه في القصيدتين جملة غير مكتملة[2]؛ ففي قصيدة (أغنية إلىٰ الريح الغربية) لم تكتمل الجملة؛ لأن أساس اكتمال الجملة في اللغة الإنجليزية وجود الفعل والاسم معا[3]، والفعل غير موجود في عنوان قصيدة (بيرسي شيلي)، وأما عبدالرحمن شكري فقد اكتفىٰ في عنوان قصيدته بشبه جملة مكونة من حرف الجر والاسم المجرور، ولم تكتمل الجملة في العنوان؛ وهو يشي باستدراج القارئ؛ «ليكتشف – من خلال النص – الكلام المحذوف»[4].

---

(١) انظر: خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة: مقاربة سيميائية، زهرة مختاري، (ص١٢).

(٢) المقصود بالجملة غير المكتملة في الجملة التي ينقصها أحد ركني الجملة؛ حيث إن ركني الجملة الإنجليزية الاسم والفعل، وتكون الجملة العربية مكتملة بالفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر وما شابههما.

(٣) انظر: Frank Palmer, Grammar. p:67.

(٤) السابق، (ص٣٨٩).

من جانب آخر وعند التأمل في عنوان القصيدتين نلحظ ملمحا مختلفا بينهما؛ ففي عنوان قصيدة (بيرسي شيلي) يظهر وصف العنوان للريح؛ حيث خصصها بالريح الغربية، وذلك علىٰ غير ما جاء في عنوان قصيدة عبدالرحمن شكري؛ حيث أطلق الكلمة، ولم يخصِّصها بوصف يحدد نوع الريح أو اتجاه قدومها.

وبناء علىٰ ما سبق يظهر أن الشاعر عبدالرحمن شكري قد تأثر بقصيدة (بيرسي شيلي) من جهة العنوان، حتىٰ وإن ظهر بعض الاختلاف بين العنوانين إلا أن الأساس الذي بُني عليه العنوان متشابهٌ، ويدعم هذا القول ما تبينه أفكار القصيدة؛ إذ تدور حول الرسالة التي يوجهها الشاعر إلىٰ الريح، واستخدام الريح وسيلة للتعبير عن الأفكار.

٢- المعاني والأفكار:

تعد الأفكار والمعاني أحد أهم العناصر التي يمكن أن تدرس عند المقارنة[١]، والغاية من دراسة الأفكار عند المقارنة هي متابعة مدىٰ انتقال الفكرة التي أنشأها المؤثر إلىٰ المتأثر، ولابد عند تناول الأفكار أن نتوقف عند الفكرة العامة للقصيدة، ومن ثم ننتقل إلىٰ الأفكار الجزيئة، ومن خلال متابعة هذه الأفكار يظهر جانب التأثر والتأثير.

من خلال التأمل في القصيدتين فإن أول ما يتبادر إلىٰ الذهن هو ذلك النفس الرومانسي الذي يسيطر علىٰ القصيدتين؛ ذلك النفس القائم علىٰ الذوبان في عالم الطبيعة، وإطلاق العنان للخيال المحلق حتىٰ يأخذ الشاعران المتلقي معه إلىٰ عالم مختلف عن عالم الواقع، وقد ظهر هذا النفس المستمر في مقاطع وأبيات القصيدتين، ويمكن أن يتبين هذا المعنىٰ في عدد من الأمثلة من القصيدتين، ولكن لكي تُقدم هذه الفكرة بشكل أوضح يحسن أن نتناولها في نقطتين مهمتين:

(١) انظر: مدارس الأدب المقارن، سعيد علوش، (ص٦٤).

أ- الفكرة المحورية في القصيدة:

إن فكرة الخطاب الذي أنشأه الشاعر (بيرسي شيلي) تقوم علىٰ إرسال رسالة إلىٰ الريح، وجعل الشاعر من الريح وسيلة مهمة لإيصال الرسالة إلىٰ المتلقي، وهكذا فعل الشاعر عبدالرحمن شكري في قصيدته؛ حيث كانت القصيدة من بدايتها إلىٰ نهايتها تحمل فكرة مخاطبة الريح، وقد ظهر - من خلال ذلك - أول أثر لقصيدة شيلي «أغنية إلىٰ الريح الغربية» الذي يتجه إلىٰ بناء الفكرة؛ ففي بناء فكرة قصيدة عبدالرحمن شكري «إلىٰ الريح» ظهرت مخاطبة الريح بشكل مباشر، وكان ظهور ذلك في القصيدة بشكل كامل، ولم يتوقف عند مقطع منها أو بيت.

وقد ظهرت فكرة توجيه الخطاب إلىٰ الريح عن طريق عدد من **أدوات الخطاب**؛ ومنها ما ظهر من استخدام (بيرسي شيلي) في قصيدته **حرف النداء** مع الريح بشكل متكرر إذ يقول في البيت الأول من القصيدة:

O wild West Wind, thou breath of Autumn's being(1)

يا أيتها الريح الغربية المتوحشة، ويا نفس الخريف

ويظهر استخدام حرف النداء أيضا في مواضع أخرىٰ من القصيدة؛ حيث يوظفه في موضع آخر منها فيقول:

… O thou
Who chariotest to their dark wintry bed(2)

… أنت يا

من تحملين البذور المجنحة إلىٰ مأواها الشتوي المظلم

ومما هو جدير بالنظر أن الشاعر (بيرسي شيلي) يعيد استخدام حرف النداء في المقطع الرابع من القصيدة من خلال وصف الريح، وذلك لم يظهر عند الشاعر عبدالرحمن شكري؛

(1) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 48.
(2) Ibid. P. 48.

فيقول (بيرسي شيلي):

...O uncontrollable![1]

... يا من لا يمكن التحكم بها...

تلك بعض الأمثلة التي ظهر فيها استخدام حرف النداء (O) الذي يستخدم في الإنجليزية القديمة عند الحديث إلىٰ من يملك سلطة عظيمة[2]، كما أن الشاعر استخدم في مواضع مختلفة من قصيدته الحرف (Oh) الذي يستخدم أيضا للفت انتباه شخص ما[3].

إن تكرار حرف النداء في القصيدة بشكل متكرر وفي مقاطع متنوعة ليؤكد انسجام الشاعر وذوبانه في مظهر من مظاهر الطبيعة وهي الريح، حيث يكرر حرف النداء مشخصا[4] إياها علىٰ شكل من يعقل فيستطيع أن يجيب نداءه أو يعيره انتباهه أو يصغي إلىٰ حديثه، وذلك مظهر أولي في حالة النداء، وسيأتي أيضا ما يرشح هذا الزعم من خلال استخدام الشاعر أدوات أخرىٰ للخطاب.

وتُبِينُ قصيدة عبدالرحمن شكري عن أثر هذا المظهر في قصيدته «إلىٰ الريح»؛ حيث يكرر الشاعر فيها حرف النداء (يا) في مواضع مختلفة منها؛ فقد تكرر حرف النداء مع الريح في القصيدة في اثني عشر موضعا، فيقول في أحد الأبيات:

يا ريح رفقا بقلب هجت لوعته * يا ريح أفشيت أشجاني وأسراري[5]

ويقول في موضع آخر مشيرا إلىٰ أن الريح تتسبب في وحشة يحس بها المرء مثل توحش

(1) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 49.

(٢) انظر: Longman Dictionary of Contemporary English. p: 1128.

(٣) انظر: السابق، (ص١١٤٢).

(٤) سيأتي الحديث مفصلاً عن التشخيص عند دراسة الصورة في هذا البحث.

(٥) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).

الغريب الذي فقد أهله ووطنه:

يـا ريـح مالـك بـين الخلـق موحـشة * مثـل الغريـب غريـب الأهـل والـدار[1]

وهكـذا في مواضـع كثيـرة مـن القـصيدة نلحـظ تكـرار حـرف النـداء في القـصيدة، وهـو أحـد مظاهر تأثره بقصيدة شيلي «أغنية إلىٰ الريح الغربية»، وأما الفرق في استخدامهما لحرف النداء، فقد ظهر في أن عبدالرحمن شكري لم يستخدم سوىٰ حرف (يا) للنداء، كما أن المنادىٰ جاء في القصيدة بشكل واحد وهو (ريح)، وذلك ما لم يظهر عند (بيرسي شيلي).

ومن **أدوات الخطاب** التي استخدمها الشاعر شيلي في قصيدته استخدام **ضمير المخاطب**؛ حيث يستعمله بشكل متكرر موجها خطابه إلىٰ الريح، وقد بدا استخدام ضمير المخاطب في مظاهر مختلفة؛ فمنها استخدام الضمير (أنتِ) (thou)؛ حيث كرره في أكثر من عشرة مواضع من القصيدة؛ إذ يقول -علىٰ سبيل المثال- في أحد المواضع:

Thou who didst awaken from his summer dreams
The blue Mediterranean, where he lay[2]

أنت من أيقظت البحر المتوسط بزرقته من أحلامه الصيفية

حيث كان يغفو

لقـد ورد اسـتعمال ضـمير المخاطـب في جميـع مقـاطع قـصيدة شـيلي الخمـسة، وكـان استخدامه في كافة الجمل لخطاب الريح، وكذلك فعل عبدالرحمن شكري في قصيدته «إلىٰ الريح»؛ فقد استخدم ضمير المخاطب بكافة أشكاله في مواضع منتشرة من القصيدة؛ حيث يستخدم (ياء المخاطبة) و(تاء المخاطبة) و(كاف الخطاب للمؤنث) و(الضمير المنفصل للمخاطب المؤنث) عند حديثه إلىٰ الريح؛ فيقول مثلاً:

---

(١) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).

(2) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 49.

يا ريـــح هيـــجت قلبـا شـجوه واري * كمـــا تهيـــجين عـــود الغـــاب بالنـار[1]

ويقول في موضع آخر:

يـا ريـــحُ مـالكِ بين الخلق موحـــشة * مثـل الغريـب غريـب الأهـل والـدار

أم أنتِ ثكلىٰ أصاب الموتُ واحدَها * تـــظلُّ تبـــغي يـــدَ الأقـــدارِ بالثَّـــارِ[2]

ب- الأفكار الجزئية:

وإذا ظهر أثر (بيرسي شيلي) في أساس الفكرة التي بنىٰ عليها قصيدته فإن مظهرا آخر من مظاهر التأثر بالفكرة يبدو في أجزاء متفرقة من القصيدة؛ حيث تظهر كثير من الأفكار الجزئية في قصيدة (بيرسي شيلي) عند عبدالرحمن شكري، ويناسب هنا أن نعرض أهم الأفكار التي ظهر أثر قصيدة (بيرسي شيلي) فيها سواء ورد هذا الأثر بشكل مباشر، أو كان أثرا غير مباشر.

ولعل أول ما يسترعي انتباه المتأمل في القصيدتين **التناقض في الموقف النفسي للشاعرين من الريح**؛ فالريح تارة موحشة مفزعة مخيفة مدمرة، وتارة أخرىٰ تتحول إلىٰ الضد فهي حافظة طيبة طاهرة تنشر الخير، إن هذه الفكرة القائمة التناقض في وصف الريح تنبع من تأثير التيار الأدبي الرومانسي الذي يدعو الشاعر إلىٰ الغوص في أعماق النفس والبحث في دواخلها عن تلك الأفكار وإن كانت متناقضة. فهذا الشاعر (بيرسي شيلي) يختتم المقطع الأول من قصيدته بقوله:

Wild Spirit, which art moving everywhere;
Destroyer and preserver; hear, oh hear![3]

أيتها الروح المتوحشة التي تتنقل في كل مكان

أيتها المدمرة والحافظة، اسمعي! اسمعي!

---

(١) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(3) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 48.

نلحظ في هذا الشاهد أن الشاعر استخدم معنيين متناقضين لوصف الريح، فإذا كانت الريح مدمرة فإنها في الوقت نفسه حافظة، وكذلك فعل عبدالرحمن شكري عند وصف الريح؛ حيث يستخدم المعاني الإيجابية في وصف الريح، ولكنه في الآن ذاته يصفها بصفات تناقض هذا المعنىٰ الإيجابي، وذلك ما يصح معه أن يقال: إنه أحد مظاهر تأثره بقصيدة بيرسي شيلي كما تبين في الشاهد السابق، ويمكن أن يستشهد من قصيدة عبدالرحمن شكري ما يوضح هذا التناقض من مثل قوله:

يـا ريـح أي جنـون فيـك يفزعنـي * إذا سـطوت بعـصف منـك إعـصار
يـا ليـت نفـسي ريـح لفـح لافحهـا * يطهـر الكـون مـن شـر وأشـرار[1]

ويقول في موضع آخر من القصيدة مخاطبا الريح:

وهبَّةٍ منكِ تحيي النفس من عُرُضٍ * بنفحـةٍ مـن شـذىٰ الأزهـار معطـارِ[2]

ويقول أيضا مخاطبا الريح:

أشـكو إليـك همـوم العـيش قاطبـة * شكوىٰ الضعيف لبادي البطش مغوارِ[3]

بدا – من خلال هذه الأبيات – مظهر من مظاهر التناقض النفسي واختلال المشاعر تجاه الريح، فقد ظهر اتفاق الشاعرين علىٰ المعنىٰ السلبي الذي تحمله الريح؛ حيث ظهرت عند عبدالرحمن شكري فكرة الفزع والسطوة والقوة في الإعصار والبطش، وظهرت الريح تحمل صفات التدمير والتوحش عند (بيرسي شيلي)، ولكن هذه الفكرة –عند الشاعرين– ما تلبث إلا أن تتغير إلىٰ الضد فتحمل صفات معاكسة تماما للفكرة التي يقدمها الشاعران عن الريح؛ فتظهر الريح عند عبدالرحمن شكري طاهرة مطهرة تحيي النفس من الأمراض، وتظهر أيضا الصفة

(١) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).
(٢) السابق، (ص٤٤٠).
(٣) السابق، (ص٤٤١).

الإيجابية عند (بيرسي شيلي) من حيث كون الريح حافظة لا تدمر، وتحيي لا تقتل.

ومن الأفكار التي يلحظ فيها تأثير قصيدة (بيرسي شيلي) في قصيدة عبدالرحمن شكري هي فكرة الأثر المباشر للريح علىٰ البذور؛ حيث إنها تحمل البذور إلىٰ أماكنها، ثم تستيقظ هذه البذور لتتحول إلىٰ ثمر ينتفع به الناس، هذه الفكرة ظهرت أولا في قصيدة (بيرسي شيلي) إذْ يقول مخاطبا الريح:

... O thou,
Who chariotest to their dark wintry bed
The winged seeds, where they lie cold and low,
Each like a corpse within its grave, until
Thine azure sister of the Spring shall blow(1)

... أنت يا

من تحملين البذور المجنحة إلىٰ مأواها الشتوي المظلم

حيث تستلقي باردةً منخفضة،

كل واحدة كجثة داخل قبرها، حتىٰ

تأتي أختك رياح الربيع اللازوردية

تدور فكرة هذا الجزء من قصيدة (بيرسي شيلي) حول ما تقوم به الريح من أثر إيجابي علىٰ الطبيعة؛ حيث إنها تحمل البذور إلىٰ مكانها في الشتاء، وتغوص إلىٰ الأرض فتدفن داخلها وهي شديدة البرودة، ثم تنتظر حتىٰ تأتي رياح الربيع فتثمر هذه البذور بأشكال مختلفة من النباتات في الأرض.

وقد التقط عبدالرحمن شكري هذه الفكرة وقدمها في قصيدته، ولكنه أضاف عليها بعضا من رؤاه وأفكاره، يقول متحدثا عن الريح:

(1) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 48.

وتنثـر الخيـرَ نثـر البـذر يحملـه * نـسمُ الريـاح علـىٰ زهـر وأثمـار[1]

من خلال التأمل في أفكار التي تحملها الأبيات نجد كثيرا من مواضع التلاقي بينها وبين الأفكار التي ظهرت في قصيدة (بيرسي شيلي)؛ فالأساس الذي أقام عليها الشاعر فكرته هو أن الرياح هي السبب في حمل البذور ونثرها في الأرض، وتلك الفكرة ظاهرة في قصيدة شكري عندما أشار إلىٰ هذا الدور؛ حيث تحمل الرياح البذر وتنثره علىٰ الأرض.

وإذا كان موضع التلاقي السابق يدور حول السبب فإن هناك موضعا آخر من مواضع التلاقي بين الفكرتين يدور حول النتيجة؛ ذلك أن نتيجة حمل البذور إلىٰ مثواها هو ما تنتهي إليه البذور -بعد أن تحملها الريح- من أشكال متعددة من النباتات تتزين فوق الجبال والتلال والسهول من مثل التي أشار إليها الشاعر بيرسي شيلي بقوله:

Thine azure sister of the Spring shall blow
Her clarion o'er the dreaming earth, and fill
With living hues and odours plain and hill: [2]

تأتي أختك رياح الربيع اللازوردية

في بوقها فوق الأرض الحالمة، ثم تملأ

السهول والتلال بأشكال حية وروائح عَبِقَة

ومثل ذلك أيضا ما أشار إليه عبدالرحمن شكري في قصيدته (إلىٰ الريح) عندما ذكر الزهر والثمر بصفته نتيجة من النتائج الجميلة التي تحدثها الريح في الطبيعة، حيث يقول:

وتنثـر الخيـرَ نثـر البـذر يحملـه * نـسمُ الريـاح علـىٰ زهـر وأثمـار[3]

وموضع آخر من مواضع التلاقي بين الفكرتين وهو ما يتعلق بمنفعة الريح عندما تحرك

(١) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).

(2) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 48.

(٣) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).

السحاب؛ حيث فصّل الشاعر (بيرسي شيلي) في هذه الفكرة في المقطع الثاني من القصيدة، وأشار إلىٰ أثر الريح في بعثرة الغيوم التي لم تكن لتتحرك لولا هذه القوة العظيمة التي تمتاز بها، وأشار الشاعر في نهاية المقطع إلىٰ نهاية هذه الحركة الطبيعية الكبرىٰ التي تتمثل في هطول المطر الكثيف، حيث يقول في أول المقطع:

Thou on whose stream, mid the steep sky's commotion,
Loose clouds like earth's decaying leaves are shed,(١)

أنت – يا من علىٰ تيارك وسط اضطراب السماء الشاهقة –

تتناثر السُّحب الواهية مثل أوراق الأرض الذاوية

وفي نهاية المقطع يتأمل الشاعر نتائج العمل الذي تقوم به الريح في السحاب، ومن ذلك ذكر هطول الأمطار الغزيرة، حيث يقول:

…from whose solid atmosphere
Black rain, and fire, and hail will burst: oh hear!(٢)

ومن جوك القاسي

سينفجر وابل من المطر الأسود والنار والبرد! اسمعي!

التقط عبدالرحمن شكري هذه الفكرة وهي الأثر المباشر للريح في هطول الأمطار، وأشار إلىٰ أن للريح منافع كثيرة عن طريق استخدام كم الخبرية التي تفيد التكثير، وأشار إلىٰ أهم منفعة تقدمها الريح وهي سوق السحاب ونزول المطر الغزير المتواصل؛ حيث يقول:

يا ريح كم لك من نفع يجيء به ❋ حدو السحاب بصوب منه مدرار(٣)

ولكننا إذ ندرك أثر هذه الفكرة التي ظهرت في قصيدة (بيرسي شيلي)، فإننا نلحظ أيضا أن

(1) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 48.
(2) Ibid. P. 48.
(٣) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).

عبدالرحمن شكري لم ينقلها كما هي بل قدمها من خلال رؤيته للوجود ومن خلال ثقافته الخالصة؛ حيث صرح بأهمية الريح في جلب المنافع الكثيرة، وهي عنده -أعني المنافع- تطغىٰ علىٰ جانب التدمير، وأما (بيرسي شيلي) فقد حصر الأثر الإيجابي للريح في حملها للسحاب والبذور التي تسقط لاحقا علىٰ الأرض، وفي الأرض تدفن البذور حتىٰ تأتي ريح الربيع.

ومن الأفكار التي يظهر فيها صدىٰ قصيدة (بيرسي شيلي) هي فكرة الانغماس في الريح، وما يتبعها من حركة للنفس تظهر من خلال الأمنيات التي يتمنىٰ فيها الشاعر شيئا غير ممكن التحقق، ومن ذلك ما يظهر في قصيدة (بيرسي شيلي) من أمنياتٍ، ومنها أن يكون هو الريح؛ لقدرتها الخارقة في حمل الأشياء ونشرها بين الناس، وهو يتمنىٰ أن تحمل الريح أفكاره الميتة إلىٰ أرجاء الكون، ويتمنىٰ تحمل الريح أبيات شعره، وأن تكون الريح سببا في انتشار كلماته بين البشر، حيث يقول:

My spirit! Be thou me, impetuous one!
Drive my dead thoughts over the universe
Like wither'd leaves to quicken a new birth!
And, by the incantation of this verse,
Scatter, as from an unextinguish'd hearth
Ashes and sparks, my words among mankind![1]

يا روحي! كوني أنا، أيتها العنيفة!

سوقي أفكاري الميتة فوق العالم

مثل الأوراق الذابلة لتعجلي بولادة جديدة

ومن خلال سحر هذه الأبيات

انشري - كما تنشرين الرماد والشرر من موقد لا ينطفئ -

كلماتي بين بني البشر!

(1) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 50.

وفي موضع آخر من القصيدة تظهر أمنيات (بيرسي شيلي) مقاربة لهذه الفكرة؛ حيث يتمنىٰ أن يكون ورقة صغيرة سقطت من شجرة فتحملها الريح وتطير بها، أو يتمنىٰ أن يكون سحابة رشيقة تسرع بها الريح في الفضاء الرحيب، حيث يقول:

If I were a dead leaf thou mightest bear;
If I were a swift cloud to fly with thee;(1)

لو كنت ورقة ميتة يمكن أن تحمليها

لو كنت سحابة رشيقة لأطير معك

ويلتقط عبدالرحمن شكري هذه الفكرة ويوظفها في قصيدته إلىٰ الريح، ولكنه إذا يتأثر بها فإنه لا ينقلها كاملة فتكون ترجمة لها، وإنما يكتبها وفقا لرؤيته التي كتب من خلالها القصيدة؛ فإذا كان (بيرسي شيلي) يتمنىٰ أن يكون ورقة أو سحابة ليطير في الفضاء، فإن عبدالرحمن شكري يتمنىٰ أن يطير أيضا، ولكنه يتمنىٰ أن يكون له جناح يسعد من خلاله بالطيران إلىٰ أغصان الأشجار؛ حيث يقول مخاطبا الريح:

أو ليت أن جناحا منك يسعدني * كيما أطير إلىٰ أفنان أشجار(2)

ويتفق عبدالرحمن شكري مع (بيرسي شيلي) في فكرة أن الريح تحمل أشعاره وأبياته إلىٰ الناس كما تبينت هذه الفكرة في أبيات بيرسي شيلي المذكورة سابقا، ومنها:

ومن خلال سحر هذه الأبيات

انشري – كما تنشرين الرماد والشرر من موقد لا ينطفئ –

كلماتي بين بني البشر!

حيث يقول مخاطبا الريح:

(1) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 49.

(٢) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).

فأنـــشد الـــشعر كالغريـــد في فـــنن ❋ وتحملـــين أغاريـــدي وأشـــعاري[1]

ويمكن أن نلحظ في هذا البيت أن الفاء هنا حرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب، وقد جاءت بعد البيت المذكور سابقا (أو ليت أن جناحا...)، وتبعا لذلك فإن هناك فرقا بين فكرة (بيرسي شيلي) وفكرة عبدالرحمن شكري من حيث أنه يتمنىٰ أن يحصل علىٰ الجناح لكي يطير علىٰ أفنان الأشجار، وعند حصوله علىٰ الجناح وقدرته علىٰ الطيران يقوم بإنشاد الشعر، وبعد ذلك تحمل الريح ما ينشده وتنقله إلىٰ الناس، وذلك بخلاف (بيرسي شيلي) الذي يتمنىٰ أن تقوم الريح بالمهمة؛ فتحمل أفكاره الميتة إلىٰ أرجاء الكون، وتحمل أبيات شعره لكي تنتشر كلماته بين البشر.

ومن الأفكار التي ظهر فيها تأثير قصيدة (بيرسي شيلي) في قصيدة عبدالرحمن شكري فكرة الشكوىٰ إلىٰ الريح، وبث الأحزان والآلام إليها، حيث يقول شيلي:

...I would never have striven
As thus with thee in prayer in my sore need.
Oh, lift me as a wave, a leaf, a cloud!
I fall upon the thorns of life! I bleed![2]

...لم أكن لأكافح أبدا

كما أنا الآن في ابتهالي، وأنا في أمسِّ حاجتي إليك

يا ريحُ! ارفعيني كموجة، كورقة، كسحابة!

لقد سقطت علىٰ أشواك الحياة! أنا أنزف دما!

يظهر في أبيات (بيرسي شيلي) الألم والحزن، ويلحظ أن حاجته الماسة، وحزنه الشديد، وألمه من شدائد الحياة وأشواكها المؤذية، يبثها إلىٰ الريح، ويطلب منها أن ترفعه كما ترفع

(١) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤١).

(2) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 49.

الموج وأوراق الأشجار والسحاب.

وقد التقط الشاعر عبدالرحمن شكري هذه الفكرة، فبث أحزانه إلىٰ الريح، وصرَّح بأن أحبابه وأنصاره خانوا عهده، فبدا عليه الهم والضعف، ولذلك فهو يشكو هذا الهم إلىٰ الريح؛ لأنها قوية باطشة، يقول عبدالرحمن شكري مخاطبا الريح:

يا ريح يا صنو نفس طالما شقيت * قد خان نفسي أحبابي وأنصاري[1]

أشكو إليك هموم العيش قاطبة * شكوىٰ الضعيف لبادي البطش مغوار[2]

ومن خلال ما سبق يظهر أثر (بيرسي شيلي) من خلال قصيدته (أغنية إلىٰ الريح الغربية) في تشكيل الأفكار الرئيسة لدىٰ عبدالرحمن شكري في قصيدته (إلىٰ الريح)؛ حيث ظهر الأثر أولا في العنوان، ثم ظهر في الأساس الذي بنيت عليه الأفكار حيث بنيت علىٰ خطاب موجه إلىٰ الريح في القصيدتين، ثم ظهر الأثر في بعض الأفكار المحورية في القصيدة؛ مثل التناقض في وصف الريح، وأثر الريح في مظاهر الطبيعة مثل حمل البذور، ونتيجة ذلك من تزين الأرض بالأزهار والثمار، والأمنيات التي صحبت القصيدتين من مثل تمني أن تحمل الريح الأفكار، وتمني الطيران، وكذلك ظهرت لديهما فكرة الشكوىٰ إلىٰ الريح.

وإذا أقررنا بوجود أثر للشاعر بيرسي شيلي في عبدالرحمن شكري فإننا نؤكد أن الأثر لا يعني نقل الأفكار كما هي، بل إن الشاعر المتأثر يخضع الفكرة لرؤيته وبيئته كما ظهر هذا في بعض مظاهر الاختلاف بين الشاعرين في بعض الأفكار.

ويحسن فيما يلي تلخيص الأفكار التي ظهر فيها أثر قصيدة (بيرسي شيلي) في قصيدة عبدالرحمن شكري، وذلك من خلال الجدول التالي:

---

(١) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤١).

(٢) السابق، (ص٤٤١).

الفكرة	ظهورها عند عبدالرحمن شكري	ظهورها عند بيرسي شيلي
فكرة محورية: وهي توجيه الخطاب إلىٰ الريح عن طريق أدوات الخطاب المتنوعة.	[يا، أنتِ، كاف المخاطبة، ياء المخاطبة...]	{O, oh, thou...}
فكرة جزئية: التناقض في الموقف النفسي من الريح.	الريح مفزعة وقوية ولكنها طاهرة ومطهرة.	الريح مدمرة ولكنها في الوقت نفسه حافظة.
فكرة جزئية: الأثر المباشر للريح علىٰ البذور.	تحمل الرياح البذر وتنثره علىٰ الأرض.	تحمل البذور إلىٰ مكانها في الشتاء، وتغوص إلىٰ الأرض فتدفن داخلها.
فكرة جزئية: نتيجة حمل البذور إلىٰ مثواها.	الزهر والثمر نتيجة من النتائج الجميلة للريح.	أشكال متعددة من النباتات تتزين فوق الجبال والتلال والسهول.
فكرة جزئية: منفعة الريح عندما تحرك السحاب.	سوق السحاب ونزول المطر الغزير المتواصل.	أثر الريح في بعثرة الغيوم، وما يتبع ذلك من هطول الأمطار.
فكرة جزئية: الانغماس في الريح، وما يتبعها من حركة للنفس تظهر من خلال الأمنيات.	--- يتمنىٰ أن تحمل الريح أغاريده وأشعاره. يتمنىٰ أن يكون له جناح يسعد من خلاله بالطيران. يتمنىٰ أن ينشد الشعر علىٰ أفنان الأشجار.	يتمنىٰ أن تحمل الريح أفكاره الميتة إلىٰ أرجاء الكون. يتمنىٰ تحمل الريح أبيات شعره. يتمنىٰ أن تكون الريح سببا في انتشار كلماته بين البشر. يتمنىٰ أن يكون سحابة رشيقة تسرع بها الريح في الفضاء.
فكرة جزئية: الشكوىٰ إلىٰ الريح، وبث الأحزان والآلام إليها.	يشكو إلىٰ الريح خيانة أحبابه وأنصاره، ويشكو إليها الهم والضعف.	يشكو إلىٰ الريح ألمه من أشواك الحياة المؤذية، ويطلب منها أن ترفعه كما ترفع الموج وأوراق الأشجار والسحاب.

٣- الصورة الفنية:

لا يخفىٰ ما للصورة من أهمية كبرىٰ في العمل الإبداعي؛ حيث إنها المنطقة الأكثر اتفاقا بين النقاد والشعراء في نظرتهم للإبداع بشكل عام، والإبداع الشعري بشكل خاص قديما وحديثا، إذ يجعلها الجاحظ أحد أهم أركان الشعر؛ حيث إن «الشاعر عند الجاحظ صانع، ونساج، ومصور»(١)، وقد اعتنىٰ النقاد المحدثين بالصورة الفنية في الإبداع بصفتها أساسا من أسس الإبداع الفني، وربطها بعض النقاد بكل ما يحيط بالمبدع بدءا من التجربة الشعورية التي عالجتها الدراسات في علم النفس؛ حيث يؤكد بعضهم علىٰ أن «إدراك الصورة يعتمد علىٰ الدراية المستمدة من البحوث النفسية»(٢)، وليس انتهاء بالدراسات النقدية والاجتماعية. وعدّ بعض الدارسين الشاعر أحد الكشافين الذين يغوصون في الأعماق فيظهرون مشاعرهم مصورة(٣)؛ «لأن قوة الشعر تتجلىٰ في عبقرية التصوير»(٤).

ولأجل هذه الأهمية فإن من المدارس الأدبية من اتكأت علىٰ الصورة بصفتها عنصرا رئيسا في الإبداع الشعري؛ مثل المذهب الرومانسي الذي يمثل اتجاه الشاعرين؛ حيث يرون أهمية التفريق بين الخيال والوهم؛ فالوهم خطر(٥)، وأما الخيال «فهو العدسة الذهبية التي من خلالها يرىٰ الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها ولونها»(٦)، وتلعب الطبيعة دورا مهما في تشكيل الصورة لدىٰ الرومانسيين؛ إذ يرجعون إليها للبحث عن أفكارهم الذاتية، ويقارنون

(١) التفكير النقدي عند العرب، عيسىٰ العاكوب، (ص١٣٩).

(٢) جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي، فايز الداية، (ص٢٣).

(٣) انظر: التصوير الشعري: رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، عدنان قاسم، (ص١٠).

(٤) السابق، الصفحة نفسها.

(٥) انظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، (ص٣٨٩).

(٦) السابق، الصفحة نفسها.

بين الحالة النفسية للمبدع ومظاهر الطبيعة[1].

وقد دُرسَ موضوع الصورة في الأدب المقارن بصفته أحد موضوعات المقارنة بين الآداب العالمية؛ حيث يمكن أن يفيد «الشاعر من معين ثقافته العالمية فيما يسوق من صور، كما يفيد منها في اقتباس الموضوعات العامة التي يعالجها»[2]، ولكنه في الآن ذاته يفيد منها ليعمق مستوىٰ الفن لديه؛ ونتيجة لذلك فإنه لا يفقد الأصالة التي يجب أن يتمتع بها المبدع[3].

وتعد الصور الجزئية أحد أهم الموضوعات التي تندرج تحت موضوعات المقارنة بين أدبين؛ حيث يستخدم الشاعر الصورة لينقل من خلالها الأفكار التي يريد إيصالها إلىٰ المتلقي[4]، ولهذا فإن أسلوب الشاعر الذي يستخدمه يعبر - في كثر من الأحيان - «عن صورة فنية لها نظائرها في اللغات والآداب المختلفة، وقد تتكافأ هذه التعبيرات فتكون مجال تأثر وتأثير»[5] كما سيأتي عند مقارنة الصورة الفنية بين الشاعرين موضوع الدراسة.

وعند التأمل في قصيدتي الشاعرين - موضوع الدراسة - نجد أثر (بيرسي شيلي) واضحا في تشكيل الصورة الفنية لدىٰ عبدالرحمن شكري في قصيدته «إلىٰ الريح»، وإذا كان أثر (بيرسي شيلي) قد اتضح في عدد من النقاط التي تركز علىٰ جانب الأفكار كما أشارت إليه الدراسة في الصفحات السابقة، فإن تناوله في جانب الصورة سيكون مختلفا؛ لأن الدراسة الآن ستتجه إلىٰ مدىٰ تأثير خيال (بيرسي شيلي) من خلال قصيدته «أغنية إلىٰ الريح الغربية» في تشكيل الصورة لدىٰ عبدالرحمن شكري من خلال قصيدته «إلىٰ الريح».

---

(١) انظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، (ص٣٩٢).

(٢) الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، (ص٢٨٥).

(٣) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤) انظر: السابق، (ص٢٨٣).

(٥) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

فمن الجوانب التي ظهر تأثير (بيرسي شيلي) في عبدالرحمن شكري في الصورة هي **التشخيص**، ومن أسباب تأثير هذا النوع من الصورة الاستعارية تأثير المذهب الأدبي بشكل عام، و(بيرسي شيلي) هو أحد رواد المذهب الرومانسي الذي ظهر تأثير صُوُرِهِ في الشاعر عبدالرحمن شكري، ويعرف التشخيص (Personification) عند دراسة الصورة بأنه مجاز يقوم علىٰ إضفاء الصفات البشرية إلىٰ أشياء ليست من جنس البشر(١)، وقد بدا التشخيص واضحا في قصيدة (بيرسي شيلي) بل يمكن أن نقول: إن الشاعر بنىٰ صورته علىٰ فكرة التشخيص؛ حيث أضفىٰ صفة البشرية علىٰ الريح وظل يناديها، ويخاطبها، ويطلب منها في جميع مقاطع القصيدة.

وقد تأثر عبد الرحمن شكري بخيال (بيرسي شيلي) في توظيف التشخيص في صوره المتعددة التي انتشرت في جميع أجزاء القصيدة، وذلك بإضفاء صفة البشرية علىٰ الريح، وقد أبان عن ذلك من خلال أسلوب النداء والخطاب والطلب من الريح، ولعل المناسب أن نعرض مواطن التشخيص في القصيدتين؛ لإزالة ما قد يُشْكِلُ من أن التشخيص - وخصوصا أسلوب النداء لغير العاقل - مستخدم بكثرة في الشعر بشكل عام والشعر الرومانسي بشكل خاص، فكيف نجعل هذا موضعا لمقارنة تكشف تأثر قصيدة الشاعر عبدالرحمن شكري بقصيدة الشاعر الإنجليزي (بيرسي شيلي)؟

الواقع أن الإجابة علىٰ هذا السؤال يمكن أن تتضح من خلال الإشارة إلىٰ نقطتين تؤكدان حصول التأثر والتأثير بين (بيرسي شيلي) وعبدالرحمن شكري. أما النقطة الأولىٰ فهي ظهور التشخيص مع مظاهر أخرىٰ متعددة تكشف تأثر عبدالرحمن شكري بقصيدة (بيرسي شيلي)، وهذه المظاهر مجتمعة تجعل التشخيص في القصيدة أحد أشكال تأثر خيال عبدالرحمن شكري بخيال (بيرسي شيلي).

---

(١) انظر: Peter Auger, The Anthem Dictionary of literary Terms and Theory. p:225.

وأما النقطة الثانية فهي توظيف أسلوب النداء في مخاطبة الريح بشكل متكرر في القصيدتين؛ مما يصح معه القول: إنه يمثل ظاهرة أسلوبية بارزة سواء أكان من ناحية عدد مرات الاستخدام، أو كان من ناحية شكل الاستخدام، ولا يمكن في هذا البحث أن نستقصي جميع أمثلة التشخيص في القصيدتين بالتحليل، ولكن يحسن أن نعرض لبعض مواضع التشخيص التي يظهر فيها التأثير بشكل بارز.

لقد استعمل الشاعر (بيرسي شيلي) مع الريح –كما تبين سابقا– مختلف الأدوات التي تدل علىٰ الخطاب، وهو بهذا الاستعمال يبث في الريح الحياة، وينفخ في الريح الروح، ويجعلها بشرا سويًا ينصت ويستمع إلىٰ ما يقول، والأمثلة علىٰ هذه متعددة ومنتشرة في القصيدة، ولكن من الأفضل الوقوف علىٰ بعض الأمثلة التي تبرز هذا النوع من الصورة في قصيدة «أغنية إلىٰ الريح الغربية»؛ حيث يظهر في أبيات متعددة من القصيدة استخدام حرف النداء لمخاطبة الريح؛ ففي أول سطر من القصيدة يعد الشاعر (بيرسي شيلي) الريح الغربية بشرا؛ ولذلك يستخدم أسلوب النداء في قوله: «يا أيتها الريح الغربية» علىٰ سبيل التشخيص(١)، ويستمر الشاعر في جميع مقاطع القصيدة باستخدام حرف النداء لمخاطبة الريح، حيث ظهر نداء الريح في قصيدة (بيرسي شيلي) في ثمانية مواضع؛ وكأنه بهذا الاستخدام يؤكد علىٰ صورة الريح التي تمثلت – في القصيدة وفي خيال الشاعر – علىٰ شكل إنسان يجيب النداء ويصغي إلىٰ حديث الشاعر.

أما قصيدة عبدالرحمن شكري فقد أظهرت تشخيص الريح من خلال النداء في مواضع تفوق مرات استخدام (بيرسي شيلي) له؛ حيث ورد حرف النداء (يا) مع الريح في اثني عشر موضعا، وهو الأمر الذي يؤكد تأثر عبدالرحمن شكري بقصيدة (بيرسي شيلي). وإذا كان نداء الريح يحمل دلالة التشخيص بادعاء صفة البشرية له، فإن تكراره يؤكد إلحاح الشاعر علىٰ

(١) انظر: Donghong Zhan, Metaphors in the First Stanza of Ode to the West Wind: A Cognitive Linguistic Approach. Asian Social Science. p: 19.

الصورة المتخيلة، وعقد العلاقة بينه وبين الريح من خلال النداء، وقد ظهرت هذه الفكرة في قصيدة (بيرسي شيلي).

وفي الجدول التالي يتضح عدد مرات استخدام حرف النداء مع الريح بين الشاعرين:

نداء الريح عند شكري	نداء الريح عند شيلي	
	الترجمة	باللغة الإنجليزية
يا ريح هيجت قلبا	يا أيتها الريح الغربية	O wild West Wind
يا ريح رفقا بقلب	يا أنت، يا من تحملين	O thou, Who chariotest
يا ريح أفشيت أسراري	يا أنت اسمعي	oh hear!
يا ريح أيُّ زئير	يا أنت اسمعي	oh hear!
يا ريح أيُّ أنين	يا أنت اسمعي	oh hear!
يا ريح ما لم بين الخلق..؟	يا من لا يمكن التحكم بها!	O uncontrollable!
يا ريح ما لك من إلفٍ	يا ريح، احمليني كموجة	Oh, lift me as a wave
يا ريح كم لك من نفع	يا ريح،	O Wind,
يا ريح فيك جنون النفس		
يا ريح هل أنت طير؟		
يا ريح يا صنو نفس		
يا ريح ما لك من عطف؟		
١٢	٨	

وإذا كان استخدام حرف النداء أحد دلالات التشخيص لدىٰ الشاعرين، فإن هناك مواضع أخرىٰ للتشخيص تظهر عندهما، ومن أهمها إسناد فعل لا يفعله إلا من يعقل إلىٰ الريح كالطلب، وقد ورد هذا الأسلوب لدىٰ الشاعر (بيرسي شيلي)؛ إذ يكرر أمر الريح مثل: (hear)[1]

(1) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 48.

= (اسمعي)، [1](lift me as a wave) = (ارفعيني كموجة)، [2](Make me thy lyre) = (اجعليني قيثارتك)، [3](Be thou me) =(كوني أنا)، [4](Drive my dead thoughts) = (سوقي أفكاري الميتة).

وكذلك يظهر التشخيص عند عبدالرحمن شكري عندما يسند إلىٰ الريح أفعال لا يفعلها إلا من يعقل، ومن أمثلة ذلك قوله في خطابه للريح؛ (يا ريح رفقا)[5]، (أفشيتِ)[6]، (ما لك من إلف)[7]، (أشكو إليك)[8].

ومن مواضع أثر الصورة لدىٰ (بيرسي شيلي) في الصورة الفنية عند (عبدالرحمن شكري) من خلال القصيدتين، استمداد الصورة من الطبيعة بصفتها مصدرا مهما لدىٰ الشاعرين، وهو الأمر الذي يحيل إلىٰ أثر المدرسة الأدبية في تشكيل الصورة لديهما؛ حيث إن الخيال عند الرومانسيين «يستطيع أن يعثر علىٰ كل صور الأفكار في الطبيعة، فهو يحاكيها في كل عمله، ولكنه ينظم هذه الصور في وحدة متكاملة تفوق ما هو متفرق في الطبيعة»[9]، ولهذا فإن الشاعر عند الرومانسيين يستعين بالطبيعة وأشكالها لكي يبين صورهُ من دون أن تسيطر الطبيعة عليه فتسلبه أصالته الفنية[10].

(1) Percy Shelley, The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, p. 49.
(2) Ibid. P. 49.
(3) Ibid. P. 50.
(4) Ibid. P. 50.

(٥) ديوان عبدالرحمن شكري، عبدالرحمن شكري، (ص٤٤٠).

(٦) السابق، (ص٤٤٠).

(٧) السابق، (ص٤٤٠).

(٨) السابق، (ص٤٤١).

(٩) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، (ص٣٩١).

(١٠) انظر: السابق، (ص٣٩٢).

وعند إنعام النظر في القصيدتين نلحظ سيطرة مظاهر الطبيعة علىٰ الصورة عند الشاعرين، وقد ظهرت أشكال الطبيعة التي شكلت مصدراً للصورة عند الشاعرين متشابهة إلىٰ حد كبير، ولكي يتضح أثر (بيرسي شيلي) في تشكيل الصورة عند عبدالرحمن شكري يحسن الإشارة إلىٰ الأمثلة المتشابهة في القصدتين للصور التي ظهر أن مصدرهما الطبيعة، ويمكن أن يتبين ذلك من خلال الجدول التالي:

عبد الرحمن شكري	مصدر الصورة	بيرسي شيلي	
		الترجمة	باللغة الإنجليزية
يا ريح أي زئير فيك يفزعني كما يروع زئير الفاتك الضاري	الحيوان	الريح الغربية المتوحشة	wild West Wind
ليت أن جناحا منك أطير إلىٰ أفنان أشجار	الطير	لأطير معك	to fly with thee
أنشد الشعر كالغريد في فنن		رفيق تطوافك فوق السماء	The comrade of thy wanderings over Heaven,
هل أنت طير طائر أبدا		البذور المجنحة	winged seeds
بنفحة من شذىٰ الأزهار معطار	النبات	وقد كستها الطحالب اللازوردية والأزهار الحلوة	with azure moss and flowers So sweet,
نثر البذر		تحملين البذور المجنحة إلىٰ مأواها الشتوي المظلم	chariotest to their dark wintry bed The winged seeds
علىٰ زهر وأثمار		الأوراق الميتة	the leaves dead
يا ريح هيجت قلبا	البحر	قوىٰ أمواج الأطلسي	Atlantic's level powers
تهيجين عود الغاب		ترتجف في يوم الموج العاتي	Quivering within the wave's intenser day
حدو السحاب بصوب منه	الفضاء	تتناثر السحب	Loose clouds

لقد تبين في الجدول السابق توظيف الطبيعة لدىٰ الشاعرين في كثير من الصور، ولهذا يمكن الاطمئنان إلىٰ أن الطبيعة هي أحد أهم مصادر الصورة لديهما، بل يمكن أن يقال: إن

الطبيعة هي المصدر الأساس للصورة لدىٰ الشاعرين، وهو الأمر الذي يرجعنا إلىٰ أثر المذهب الأدبي الرومانسي في ذلك، إلا أن ما يلفت النظر في هاتين القصيدتين هو أوجه التشابه في كثير من تفاصيل الصورة التي اتخذت من الطبيعة مصدرًا لها؛ حيث إن عبدالرحمن شكري يختار من الصور ما يتشابه مع طريقة (بيرسي شيلي) في توظيف الصورة، إلا أنه قد يغير قليلا في الصورة بحيث لا يصل التشابه حدَّ التطابق.

لقد ظهر من خلال مقارنة مصادر الصورة التي اجتلبت من الطبيعة بين الشاعرين أن الحيوان أحد مصادر الصورة، واختارا منها الحيوانات المتوحشة عن طريق وصف الريح بالمتوحشة عند (بيرسي شيلي) والادعاء بأن لدىٰ الريح زئيرًا مفزعًا تشبيها لها بالأسد عند عبدالرحمن شكري، كما أن النبات مصدر مهم من مصادر الصورة لدىٰ الشاعرين؛ وظهر منه البذور والزهور والثمار عند الشاعرين، وبدا الطير أحد مصادر الصورة لديهما، وظهر عند (بيرسي شيلي) بذكر الأجنحة تشبيها للبذور بالطير، وتخيل الطيران والتطواف في السماء، وأما تمني الطيران والأجنحة فقد بدا جليا أيضا عن عبدالرحمن شكري، وزاد علىٰ ذلك تشبيه نفسه بالبلبل الغريد علىٰ أفنان الأشجار، وظهرت الأمواج في الصورة لدىٰ (بيرسي شيلي) مجتلبا صورته من البحر، كما بدا البحر مصدرا للصورة عند عبدالرحمن شكري عندما استخدم مفردة الهيجان التي تدل علىٰ اضطراب البحر وعلو أمواجه.

ويحسن هنا الإشارة إلىٰ أن الصور في القصيدتين تمثل مشاعر وأحاسيس الشاعرين، وهو ما يشير إلىٰ شعراء المدرسة الرومانسية الذين يخلطون «مشاعرهم بالصور الشعرية، فيناظرون بين الطبيعة وحالاتهم النفسية»[1]؛ حيث كانت الطبيعة من خلال الصورة لدىٰ الشاعرين وسيلة كاشفة عن الألم النفسي الذي يسيطر عليهما.

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، (ص٣٩٢).

لقد كان أهم مظهر في الطبيعة وظفه الشاعران الريح؛ حيث حركت الريح العاطفة لدى الشاعرين فبدت ممتزجة بمشاعرهما، واستعرضا كل ما يمكن أن تقوم به الريح نيابة عنهما؛ فتحرك الخيال لدى الشاعرين، ومنه ظهرت أشكال متعددة من الصور الفنية الممتزجة بالعاطفة الصادقة.

كما حرك الشاعران مظاهر الطبيعة الأخرى مع الريح؛ لتتكوَّن من تلك الصور الجزئية الصورة الكلية المركبة من مظاهر الطبيعة المتعددة التي امتزجت كذلك بعاطفة الشاعرين المتناقضة حينا والمتدفقة حينا آخر، فظهر الطير والبحر والسماء والسحاب والنبات وغيرها من مظاهر الطبيعة التي كانت مصدرا واضحا للصورة لدى الشاعرين.

***

الخاتمة

- تناول هذا البحث أثر قصيدة (بيرسي شيلي) التي عنوانها «أغنية إلى الريح الغربية» في قصيدة الشاعر المصري عبدالرحمن شكري التي عنونها بـ«إلى الريح»، وقد طبق هذا البحث المقارنة بمفهوم المدرسة الفرنسية للأدب المقارن التي تدرس الصلات التاريخية بين الأدبين، ثم مظاهر التأثر والتأثير بينهما.

- تناول المبحث الأول الصلات التاريخية بين الشاعرين من خلال عرض موجز لحياتهما؛ لبيان المتقدم والمتأخر منهما.

- تبين الاتصال بين نتاج (بيرسي شيلي) الأدبي وعبدالرحمن شكري من طريقين؛ أما الطريق الأول فهو المدرسة الأدبية التي ينتمي لها (بيرسي شيلي) وكان أحد أعلامها، وقد تأثر بها عبدالرحمن شكري، وأما الطريق الثاني فهو سفر عبدالرحمن شكري إلى إنجلترا للدراسة، واطلاعه على أعمال الشاعر الإنجليزي نتيجة دراسته الأدب الإنجليزي.

- تبين الأثر المباشر الذي أحدثته قصيدة (بيرسي شيلي) «أغنية إلىٰ الريح الغربية» في قصيدة عبدالرحمن شكري «إلىٰ الريح» من خلال عدد من العناصر وهي:

١ - عنوانا القصيدتين بصفتهما المدخل الذي يلج من خلاله القارئ إلىٰ القصيدة، وقد أشار البحث إلىٰ مواضع الاتفاق والاختلاف بين العنوانين، مما أشار بوضوح إلىٰ حصول التأثر والتأثير.

٢ - المعاني والأفكار في القصيدتين، وقد ظهر تأثير قصيدة (بيرسي شيلي) في قصيدة (عبدالرحمن شكري) من خلال الفكرة المحورية في القصيدة التي تتعلق بتوجيه الخطاب إلىٰ الريح، وكذلك ظهر الأثر من خلال الأفكار الجزئية كالتناقض في الموقف النفسي من الريح، والأثر المباشر للريح علىٰ البذور، ونتيجة حمل البذور إلىٰ مثواها، ومنفعة الريح عندما تحرك السحاب، مع بيان التأثر والتأثير في الأفكار.

٣- أثر الصورة الفنية لدىٰ (بيرسي شيلي) في تشكيل الصورة في قصيدة عبدالرحمن شكري، وقد تبين من خلال دراسة القصيدتين الأثر الذي أحدثته قصيدة الشاعر الإنجليزي في قصيدة «إلىٰ الريح»، وقد تبين التأثير من خلال التشخيص في القصيدتين، ومن خلال تحليل مصادر الصورة التي اجتلبت من الطبيعة، كما ظهر أثر المذهب الأدبي الرومانسي في رؤية الشاعرين للطبيعة وصورها.

- تبين تأثير شعر بيرسي شيلي تأثيرا مباشرا في شعر عبدالرحمن شكري، ولكنَّ هذا الأثر لم يسلبه شخصيته الفنية، ولم يجعله مقلدا ومترجما للقصيدة، بل أضاف إلىٰ ثقافته العربية الأصيلة ما لدىٰ الشاعر الإنجليزي من أفكار وأساليب وصور إبداعية تثبت التأثر الإيجابي الذي لا يفقد الشاعر المتأثر أصالته.

التوصيات:

- القراءة التطبيقية العميقة في الشعر العربي الحديث - وخصوصا في بداياته - من أجل النظر في المصادر الثقافية التي شكلت المذاهب والاتجاهات الأدبية للشعر العربي في العصر الحديث.

– التأمل في الإضافات التي قدمها المبدع العربي إلىٰ التجربة الشعرية التي استقاها من الأدب الآخر بدلا من الادعاء بأن الشاعر العربي مقلد في غالب أحيانه عندما يتعلق الأمر بالتأثر بالثقافة الأخرىٰ.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

(١) اتجاهات الشعر العربي الحديث في النصف الأول من القرن العشرين: الاتباعية – جماعة الديوان– الرومانسية. قيسومة، منصور، ط١، تونس: الدار التونسية للكتاب، ٢٠١٤م.

(٢) الأدب العربي الحديث. ستاركي، بول، ترجمة: هند السديري، ط١، الرياض: العبيكان للنشر، ٢٠١٢م.

(٣) الأدب المقارن. هلال، محمد غنيمي، ط٣، بيروت: دار العودة، ١٩٩٩م.

(٤) الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه. مكي، الطاهر، ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م.

(٥) الأعلام. الزركلي، خير الدين، ط١٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.

(٦) إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد. العجلان، سامي، ط١، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥م.

(٧) التشاؤم عند عبدالرحمن شكري: دراسة تحليلية نقدية، الكعكي، ثريا، رسالة ماجستير، مكة المكرمة: كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرىٰ، ٢٠٠٩م.

(٨) التفكير النقدي عند العرب، العاكوب، عيسىٰ، ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠م.

(٩) التناص في شعر الرواد: دراسة. ناهم، أحمد، ط١، القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٧م.

(١٠) جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي. الداية، فايز، ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠١٣م.

(١١) خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة: مقاربة سيميائية. مختاري، زهرة، رسالة ماجستير، وهران: جامعة سانية، ٢٠١٢م.

(١٢) ديوان عبدالرحمن شكري. شكري، عبدالرحمن، مراجعة وتقديم: فاروق شوشة. القاهرة: المجلس الأعلىٰ للثقافة، ٢٠٠٠م.

(١٣) رؤية نقدية لبلاغتنا العربية التصوير الشعري. قاسم، عدنان، ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٨م.

(١٤) مدارس الأدب المقارن. علوش، سعيد، ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٧م.

(١٥) المذاهب الأدبية: دراسة وتحليل. حمد، عبدالله، د.ط، بيروت: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

(١٦) المصطلح النقدي عند جماعة الديوان. معوش، محمد، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح بورقلة، ٢٠١٢م.

(١٧) النقد الأدبي الحديث. هلال، محمد غنيمي، د.ط، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

(1) Abdel-Hai, M, Shelley and The Arabs: An Assay in Comparative Literature, Journal of Arabic Literature, Vol.3, 1972.
(2) Auger, P. The Anthem Dictionary of literary Terms and Theory. London: Anthem Press, 2010.
(3) Drabble, M. and Stringer, J. The Concise Oxford Companion to English Literature. Oxford: Oxford University Press, ed 3, 2007.
(4) Eagleton, T. Introduction to Literary Theory. New Jersey: Blackwell Publishing Ltd, 3rd Ed, 2008.
(5) Guertin, M. Shelley's Poetic Inspiration and Its Two Sources: The Ideals of Justice and Beauty, PhD's Thesis. University of Ottawa, 1977.
(6) Longman Dictionary of Contemporary English, Pearson Education Limited, 4th ed, 2005.
(7) Palmer, F. Grammar. England: Penguin Books Ltd, 1986.
(8) Shelley, P. A Defence of poetry, an Essay, Objective System Ltd.
(9) Shelley, P. The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, Revised by William Michael Rossetti. London: The Johns Slark, 1981.
(10) Shunqing Cao, The Variation Theory of Comparative Literature. Newyork: Sepriger, 2013.
(11) Zhan, D. Metaphors in the First Stanza of Ode to the West Wind: A Cognitive Linguistic Approach, Asian Social Science, Vol. 5, No. 7, July 2009.

***

BIBLIOGRAPHY

(1) Abdel-Hai, M, Shelley and The Arabs: An Assay in Comparative Literature, Journal of Arabic Literature, Vol.3, 1972.
(2) Al-Adab Al-Arabi Al-Hadith, Srarki Pul. Tarjamat Hind Al-Sidiri. Al-Riyadh. Al-Obaykan Linnashr. 2012
(3) Al-Adab Al-Muqaran. Hilal Muhammad. Bayrut.Dar Al-Audah.1999.
(4) Al-Adab Al-Muqaran: Ausuluh WatAdwwruh Wa Manahijuh. Makki, Al-Dahir. Al-Qahirah. Dar Al-Ma"arif. 1987.
(5) Al-A'lam. Al-Zirikli Khayr al-Din. Byrut. Dar Al-"Ilm Lilmalayiyn.1997.
(6) Al-Mathahib al-Arabiyah: Dirasat wa Tahlil. Hamad, Abdullah.Bayrut. Dar al-Qalam. (N.D)
(7) Al-Mustalah al-Naqdi ind Jama'at al-Diwan. Muawwash, Muhammad. Al-Jazai'r. 2012.
(8) Al-Naqd Al-Adabi Al-Hadith. Hilal, Muhammad. Al-Qahirah: Nahdat Misr. 1996.
(9) Al-Tafkir al-Naqdi Ind al-Arab. Al-Akub, Isa. Byrut. Dar al-Filr al-Muasir.2000.
(10) Al-Tanass fi Sh'r al-Ruwad. Nahim, Ahmad. Al-Qahira. Dar al_afaq al-Arabiyah. 2007.
(11) Al-Tashaum ind Abdulrahman Shukri: Dirast Tahlilyah Naqdiyah. Al-Ka'ki, Thuriya. Majistir. Makkah al-Mukarramah. Jami'at Umm al-Qura.2009.
(12) Auger, P. The Anthem Dictionary of literary Terms and Theory. London: Anthem Press, 2010.
(13) Drabble, M. and Stringer, J. The Concise Oxford Companion to English Literature. Oxford: Oxford University Press, ed 3, 2007.
(14) Dywan 'ebdalrhmn shkry. shkry, 'ebdalrhmn, mraj'eh wtqdym: farwq shwshh. alqahrh: almjls ala'ela llthqafh, 2000.
(15) Eagleton, T. Introduction to Literary Theory. New Jersey: Blackwell Publishing Ltd, 3rd Ed, 2008.
(16) Guertin, M. Shelley's Poetic Inspiration and Its Two Sources: The Ideals of Justice and Beauty, PhD's Thesis. University of Ottawa, 1977.
(17) Ikwa al-Atabah: Aunan al-QAsidah wa Asilat al-Naqd. Al-Ajlan, Sami. Bayrut. Muasasat al-Intishar al-Arabi. 2015.
(18) Itijahat Al-Shi'r Al-Arabi Al-Hadith Fi AL-Nisf Al-Awwal Min Al-Qarn Al-Ishrin: Al-ITTiba"iyah, Jama"at Al-Diwan, Al-Rumansiyyah.Qasumah, Mansur. Tunis, al-Ddar Al-Tunisiyyah LilKitab. 2014.
(19) Jamaliyat Al-Auslub: Al-Surah al-Faniyah fi al-Shi'r al-Arabi. Al-Dayah, Fayiz. Bayrut. Dar al-Fikr al-Muasir.2013.
(20) Khitab al-Inwan fi al-Qasidah al-Jazaiyriah al-Mu'asirah. Mukhtari, Zahrah.Majistir. Wahran. 2012.
(21) Longman Dictionary of Contemporary English, Pearson Education Limited, 4th ed, 2005.

(22) Madaris Al-Adab al-Muqaran. Allush, Said. Bayrut. Al-Markaz al-Thaqafi al-Arabi. 1987.
(23) Palmer, F. Grammar. England: Penguin Books Ltd, 1986.
(24) Rw'yah Naqdiyah libalaqtina al-Arabiyah. Qasim, Adndn. Al-Kuait.1998.
(25) Shelley, P. A Defence of poetry, an Essay, Objective System Ltd.
(26) Shelley, P. The Complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley, Revised by William Michael Rossetti. London: The Johns Slark, 1981.
(27) Shunqing Cao, The Variation Theory of Comparative Literature. Newyork: Sepriger, 2013.
(27) Zhan, D. Metaphors in the First Stanza of Ode to the West Wind: A Cognitive Linguistic Approach, Asian Social Science, Vol. 5, No. 7, July 2009.

❊ ❊ ❊